﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

فـي القصصِ الموحَى دليلٌ على أنَّ القرآنَ مُنزّلٌ من الله

لَمّا وصَفَ البيانُ الإلهيُّ القرآنَ بأنَّه مُبِينٌ وأكَّدَ إنزالَه قرآنًا عربيًّا، قال مُثْبِتًا ومُعَلِّلًا بأنَّهُ الكِتابُ المُنزل من الله بِعِلَّةٍ مُشاهَدَةٍ هي أخَصُّ منَ الأُولى[1]: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَقُصُّ﴾: القاف والصّاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشّيء، من ذلك قولهم: اقتصصتُ الأثرَ إذا تتبّعته[2]، والقَصُّ: تَتَبُّعُ الأثَرِ، والقصُّ فعلُ القاصّ إذا قصَّ القصص، وذلك لاتّباعه خبرًا بعد خبر وسَوقِهِ الكلام سَوقًا[3]، ويُقال: قصَّ عليه القصّةَ: رَواها، وقصّ عليه الرُّؤْيا: أخبرهُ بها، وقصّ عليه الخبرَ قصًّا وقصصًا: أعلمه به وأوردهُ على وجهه، والقاصُّ: مَن يأتي بالقصّة على وجهها، كأنّه يتتبّع معانيها وألفاظها، والقِصّة: الخبر ذو الأمور المتتالية[4].

ومعنى ﴿نَقُصُّ﴾ في الآية: نُخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السّالفة والكتب الّتي أنزلناها في العصور الخالية[5].

2) ﴿أَحۡسَنَ﴾: الحُسْنُ ضدُّ القُبْحِ[6]، والحُسْنُ: نَعْتٌ لما حَسُن،

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/6.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قص).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (قصص).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصص).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/551.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حسن).

والحُسْنُ: الجَمالُ[1]، والحَسَنَةُ: ضدّ السَّيِّئَةِ، والإحْسانُ: ضدّ الإساءَةِ، والحَسَنُ: ما حَسُنَ من كلِّ شيءٍ، ويُقال: الأحْسَنُ على إرادَةِ أفْعَلِ التَّفْضيلِ[2]، فالأحْسَن: الأفْضَل[3]، والحُسْنُ: عبارةٌ عن كلّ مُبهجٍ مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرُب: مُستحسَنٌ من جهة العقل، ومُستحسَنٌ من جهة الهوى، ومُستحسَنٌ من جهة الحِسّ، والحُسْنُ أكْثَر ما يُقالُ في تَعارفِ العامَّةِ في المُسْتَحْسَن بالبَصَرِ، وأكْثَر ما جاءَ في القُرْآن في المُسْتَحْسَن من جهَةِ البَصيرَةِ[4].

ومعنى ﴿أَحْسَنَ﴾ في الآية: أبدعُه طريقةً، وأعجبُه أسلوبًا، وأصدقُه أخبارًا، وأكرمُه مقصدًا، وأشرفُه غايةً، وأقومُه طريقًا، وأجمعُه حِكمًا وعِبرًا[5].

3) ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: الغين والفاء واللّام أصلٌ صحيح يدلُّ على ترك الشّيء سهوًا، وربَّما كان عن عمدٍ، ومنه: غفَلتُ عن الشّيء: إذا تركتَه ساهيًا، وأغفلتُه: إذا تركتَه على ذُكْر منك له[6]، والغَفْلة: فَقْدُ الشُّعورِ بما حَقُّه أنْ يُشعَرَ به، وهو أيضًا الذّهولُ عن الشّيء، وقيل: متابَعةُ النَّفْسِ على ما تشتهيه، وغَفَلَ الشّيءَ: سَتَره[7]، والغفلة: سهوٌ يعتري الإنسان من قلّة التّحفُّظ والتّيقُّظ[8]، والغفلة: غيبةُ الشّيء عن بالِ الإنسان، وعدم تذكّره له، وقد استُعمل فيمَن تركه إهمالًا وإعراضًا[9]. والمُراد بـ ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في الآية: أيْ: لا تعلمه، ولا شيئًا منه[10]، أو عدم الالتفات والاهتمام له، إذْ لم يكن من النّبيّ ﷺ قبل نزول القرآن عليه الْتِفاتٌ إلى هذا القصص أو اشتغال به[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول جلّ ثناؤه لنبيّه مُحمّدٍ ﷺ: نحن نقصُّ عليك - أيها الرّسول - أحسنَ القصص

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (حسن).
(2) الفِيروزابادِيّ، القاموس المحيط: (حسن).
(3) مجمع اللُّغة العربيّة في القاهرة، المعجم الوسيط: (حسن).
(4) الرّاغب، المفردات: (حسن).
(5) النَّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/94، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/146، والخطيب، التّفسير القرآنيّ: 6/1233.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غفل).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (غفل).
(8) الرّاغب، المفردات: (غفل).
(9) الفيومي، المصباح المنير: (غفل).
(10) ابن جرير، جامع البيان: 15/551، والبغويّ، معالم التّنزيل: 2/474، والنَّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/94.
(11) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 6/1234.

مضمونًا وأسلوبًا بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السّالفة والكتبِ الّتي أنزلناها في العصور الخالية، ومنها قصّة يوسف ﷺ، وإن كنتَ من قبل أن نوحيَهُ إليك لمنَ السّاهين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئًا منه، ولا تَدْرِي عَنْ قصَصِ السّابِقِينَ شَيْئًا[1]، وهذا دليلُ نُبوّتك وصدق دعوتك.

القصصُ القرآنيُّ المُـوحَـى إليـك دليلٌ على نبوّتكَ وصدقِ دعوتك

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى أنَّ القصَص التّربويَّ بصفةٍ عامّةٍ يعطينا صورًا واضحةً للفضائل والرّذائل، حتّى تتركَ آثارَها العميقةَ في أغوار النّفوسِ البشريّة فتُقبِل على الفضائل لحُسن عاقبتها، وتُدْبِرَ عن الرّذائل لقُبح مصيرها. وقد ساقَ اللّه القصصَ القرآنيّة؛ لنستفيدَ من روايتها مكارمَ الأخلاق ونتّعظَ بعظاتها وعِبَرِها، حتّى نكونَ بمأمنٍ من عثراتِ الحياة ومنجاةٍ من أخطار الدّنيا والآخرة، وسورةُ يوسفَ مليئةٌ بالعِظات والعِبَر، وقصّةُ يوسفَ من أحسن القصص وأوضحِها وأبينِها؛ لما فيها من أنواع التّنقُّلات من حالٍ إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منْحة ومنَّة، ومن ذُلٍّ إلى عِزٍّ، ومن رِقٍّ إلى مُلكٍ، ومن فُرقةٍ وشَتاتٍ إلى اجتماعٍ وائتلافٍ، ومن حُزن إلى سُرور، ومن رَخاء إلى جَدْب، ومن جَدْب إلى رَخاء، ومن ضِيقٍ إلى سَعةٍ، ومن إنكارٍ إلى إقرارٍ؛ فلهذا تعتبرُ بحقٍّ أحسنَ القصص كما وصفها اللّه تعالى[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعةُ فصل الآية عن سابقتها:

تَتَنَزَّلُ جملةُ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ من الجملة الّتي قبلها ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ منزلةَ بَدَلِ الاشتِمالِ؛ لأنَّ أحسنَ القصص ممّا يشتمل عليه إنزال القرآن، وكون القصص من عند اللّه يَتَنَزَّلُ منزلة الاشتمال من جملةِ تأكيدِ إنزالِهِ من عند اللّه.

في البدليّة تأكيدٌ لعظمةِ ما ينزّله الـقـرآن مـن أحسن القصص

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/551.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم المّنان، ص: 407، ومجمع البحوث الإسلاميّة، الوسيط: 4/269.

وقوله: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يتضمّن رابطًا بين جملةِ البَدَلِ والجملةِ المُبْدَلِ منها[1]، ولذا فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ بين هاتَيْن الجملتَيْن ولم يربطهما بعاطفٍ؛ لِما بينها من كمالِ اتّصال.

نكتةُ بدءِ الآية بضميرِ العَظَمة:

العظيمُ سبحانَه لا يُخبرُ إلّا بما هو عظيمٌ

افتتحَ البيانُ الإلهيُّ الجملةَ بضمير العظمة: ﴿نَحۡنُ﴾؛ للتّنويهِ بشأن المُخْبَرِ بهِ وتعظيمه، وهو ما يُخبرُ به سبحانه من أحسن القصص[2]، وما تحملُه من عِبرٍ لها الأثرُ العظيمُ في تثبيتِ قلب النّبيّ ﷺ والتّسليةِ عنه، وتوجيهِ دعوتِه، وإرشادِ أُمّته الخاتمَة، لأنّ سورة يوسف تحكي الحياةَ بجميع ألوانها بما فيها من حُلوٍ ومُرٍّ، ومحنةٍ ومنحةٍ، وبما فيها من حُبٍّ وحسدٍ، ومن عدلٍ وظلمٍ، ومن فتنةٍ وإغراءٍ، وعفّةٍ وإباء، وفيها لطفُ اللّه لِمَنْ اصطفاه والعاقبة لِمَنْ يتّقي ويصبر.

وكذلك فيها تنويهٌ بتعظيم مَن تتنزّلُ عليه ﷺ وتعظيم أمّتِه المتّخذةِ من قَصَصِ القرآن وأخبارِه منهجَ حياة.

فائدةُ التّعبير بـ ﴿نَقُصُّ﴾:

القصصُ القرآنيُّ يتتبعُ ما حدث فعلًا وله عظيمُ الأثر لأنّه مُنزّلٌ من ربِّ البَشَر

يشير إيثار القرآن التّعبير بمفردة ﴿نَقُصُّ﴾ في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ إلى صدق القصص القرآنيّة وواقعيّتها؛ لأنَّ مادةَ القصّ تعني تتبُّعَ الأثر، والإتيانَ بالقصّة على وجهها، "وذلك أنّ حكاية أخبار الماضين تُشْبه اتّباع خُطاهم"[3].

وقد أكّد القرآن هذا المعنى بقوله: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ وقوله: في سورة أخرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عمران: 62].

وأمّا استعمالُ مفردة القصّ بصيغة الفعل المضارع ﴿نَقُصُّ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/202.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/203.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/203.

المنسوب إلى ضمير الجمع المتكلّم ﴿نَحۡنُ﴾؛ فللإشارة إلى أمرَيْن: الأوّل: استمرارُ نزول القصص القرآنيّ على النّبيّ ﷺ، واستمرار تلاوتها إلى قيام السّاعة، واستحضارُ صورة تنزُّل هذه القصص عليه ﷺ في الذّهن، بما يحمله هذا الاستحضار من زيادة التّثبيتِ لقلبِ النّبيّ ﷺ وأُمّته، وبما يُظهره من رعاية الله له.

والثّاني: تعظيمُ هذه القصص القرآنيّة؛ للتّعبير بصيغة الجمع ونون العظمة.

غرضُ تقديم ﴿نَحۡنُ﴾ على ﴿نَقُصُّ﴾:

القصصُ القرآنيُّ من عندِ الله وحده حُكمٌ مؤكّدٌ لا مريةَ فيه

قدَّم البيانُ الإلهيُّ المُسنَدَ إليه، وهو المبتدأ ﴿نَحۡنُ﴾ على المُسنَدِ الفعليّ، وهو الخبر الّذي جاء بصيغة الفعل ﴿نَقُصُّ﴾؛ للآتي:

أولًا: لإفادةِ الاختصاص؛ أيْ: نحن نقصُّ لا غيرنا؛ ردًّا على مَن يطعن من المشركين في القرآن بقولهم: كما حكاه القرآن: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ [النّحل: 103] وقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: 5][1].

ثانيًا: لتقوية الحُكم وتوكيده، وهو أنَّ الله يقصُّ على رسوله ﷺ أحسن الاقتصاص، وأحسن المقصوص؛ أيْ: أحسن المعاني بأحسن أسلوب.

وسبب تقوية الحُكم وتوكيده تكرار الإسناد؛ فقد وقع الفعل ﴿نَقُصُّ﴾ خبرًا عن المُسنَد إليه ﴿نَحۡنُ﴾، وهو في الوقت نفسه مُسنَد إلى الضَّمير ﴿نَحۡنُ﴾ العائد على المبتدأ، فكأنَّ الحُكم هنا ذُكر مرّتيْن؛ مرّةً حين أُسند الفعلُ إلى المبتدأ، ومرّةً حين أُسند إلى ضميره العائد إلى المبتدأ، بخلاف ما لو تأخّر المُسنَدُ إليه، فقال: (نقصُّ نحن)، فلا يحدث هذا التّكرار، بل يحدث الإسناد مرّةً واحدةً فقط.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/203.

بلاغةُ التّناسقِ بين البدل والمبدل منه:

تتناسقُ آياتِ القرآن في تقريرِ حقيقةٍ مفادُها أنْ لا مصدرَ للقرآن إلّا هُو سبحانَه

يَظهر جمالُ التّناسقِ بين جملةِ البَدَل ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ وجملةِ المُبدَل منه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ في توافُق الجُملَتيْن في تَقديم المُسنَد إليه، وهو المبتدأ ﴿إِنَّآ﴾ و﴿نَحْنُ﴾ على المُسنَد الفعليّ، وهو الخبر الّذي جاء بصيغة الفعل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ أيْ: في إفادة الاختصاص وتوكيده، وبالتّالي توافقهما في تأكيدِ كَوْنِ القرآنِ من عند الله لا من عنْد غيرِه سبحانه.

غرضُ التّعبيرِ بحرف الاستعلاء ﴿عَلَيْكَ﴾:

مقامُ تنزُّلِ القرآنِ العظيم مقامٌ عظيمٌ إذْ هو من الله العظيم على النّبيّ العظيم

عبّرَ البيان القرآنيُّ بحرف الجرّ (على) في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، ولم يَقُل: (نحن نقصّ أحسن القصص) كما في الآية الّتي قبلها ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ تنويهًا بمقام النّبيّ ﷺ وهو مقام عُلوٍّ ورِفعة، ولذلك لكون (على) يُفيد الاستعلاء، ومناسبةً للسّياق الّذي هو سياقُ عُلوٍّ ورِفعةٍ وعظمةٍ لمُنزِل القصص سبحانه، وللمقصوص، إذ ابتدأت الآية بضمير العظمة ﴿نَحْنُ﴾ وقدّمته على الفعل؛ أي: نحن نقصّ عليك لا غيرُنا، ثمّ وصفتِ المُنزَل بأحسن القصص، فناسب الإشارة إلى عُلوِّ مَن تتنزّل عليه آيات العظيم سبحانه.

عودُ ضمير المخاطَب في ﴿عَلَيْكَ﴾:

الخطابُ من الله للمصطفى المُختار تشريفٌ ورِفعةٌ

يعودُ ضميرُ المخاطَب في شبه الجملة ﴿عَلَيْكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ إلى النّبيّ ﷺ؛ تشريفًا له بالخطاب من الله سبحانه، وتسليةً لنفسه بما سيقصُّه عليه من قَصص إخوانه، وهذا لا يكون لو كان التّعبير: (نحن نقص عليه).

وأمّا فائدةُ إضمارِه ﷺ وعدم التّصريح باسمه فهي الاختصارُ؛ لأنَّ نزولَ الوحي الشّرعيّ لا يكون إلّا لَه؛ فهو النّبيُّ المختار الّذي نزل عليه الرُّوحُ الأمينُ، ولكونِ الضّمائرِ أعرفَ المعارف، وفي هذا تشريفٌ ورِفعةٌ لمقامه ﷺ.

غرضُ تقديم شبْهِ الجملة ﴿عَلَيْكَ﴾:

في التّقديم اهتمامٌ بشأنه ﷺ، وفي التّأخيرِ تشويقٌ لأحسنِ القَصص

قدَّم القرآنُ شبه الجملة ﴿عَلَيْكَ﴾ على المفعول به ﴿أَحْسَنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، ولم يَقُل: (نحن نقصُّ أحسنَ القصص عليك)؛ اهتمامًا وتنويهًا بشأن المقَدَّم ﷺ الّذي اختاره الله ليُنزِّل عليه القرآن العظيم، وتشويقًا للمؤخّر وهو أحسنُ القصص، إذ النّفس لَمّا تسمع أنّ الّذي يقصّ هو العظيم سبحانه، وأنّ مَن يتنزّل عليه المقصوص هو صاحب المقام المحمود، فإنّها تتشوق لمعرفةِ هذا المقصوص الّذي لا بدّ وأنْ يكون عظيمًا في نَظْمه ومضمونِه، فهو أحسنُ الاقتصاص، وأحسنُ المقصوص.

نكتةُ التّعبيرِ بـ﴿أَحْسَنَ﴾:

قصصُ القرآن جمعتِ الحُسْن كلّه؛ بلْ كانت أحسنَ القصص

آثر القرآنُ مُفردة ﴿أَحْسَنَ﴾ من حيث مادّتُها اللّغويّة؛ لأنّها الأنسبُ مع عظمةِ هذه القصص من حيث سَعةُ دلالة هذه المفردة على المعنى، إذ الحُسْنُ ضدّ القُبْحِ[1]، والحُسْنُ: الجَمالُ[2]، والإحْسانُ: ضدّ الإساءَةِ، والحَسَنُ: كلّ مُبهجٍ مرغوبٍ فيه من جهة العقل والهوى، والحِسّ، والحُسْنُ: هو المُسْتَحْسَن بالبَصَرِ، وأكثره في القرآن من جهَةِ البَصِيرَةِ[3]، والمعنى: نحن نقصُّ عليك قصصًا جمعت الحُسْن كله؛ إبداعًا وجمالًا في نَظمها وأثرها الصّوتي، وإعجازًا في أسلوبها، وصدقًا وواقعيّة في أخبارها، وكرامةً وشرفًا ورُقيًّا في ألفاظها ومقاصدها وغاياتها وحِكَمها وعِبَرها النّفسيّة والعقليّة والتّربويّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة وغير ذلك.

وأمّا التّعبيرُ باسم التّفضيل في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾؛ فإشارةً إلى أنَّ هذه القصص قد بلغت الغاية في هذا الحُسْن، إذ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حسن).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (حسن).
(3) الرّاغب، المفردات: (حسن).

بعضُ القصص لا يخلو عن حُسْنٍ ترتاحُ له النُّفوس، ولكنّ قَصصَ القرآنِ هو أحسنُ القَصص في بابه، وكلُّ قصّةٍ في القرآن هي أحسنُ من كلِّ ما يقصّه القاصُّ في غير القرآن[1]، فأحسنُ القَصص أبدعُه طريقةً، وأعجبُه أسلوبًا، وأصدقُه أخبارًا، وأكرمُه مقصدًا، وأشرفُه غاية، وأقومُه طريقًا، وأجمعُه حِكمًا وعِبرًا[2].

وفي التَّعبير باسم التّفضيل ﴿أَحْسَنَ﴾ ردٌّ على مَن أراد أنْ يُكمل القصّة التّامّة الكاملة الحَسَنَة، أو يُحسّنها بما يُذكر في الإسرائيليّات الّتي لا يُعرف لها سَنَدٌ ولا ناقلٌ، وأغلبُها كذِبٌ، وأنَّه بفعله هذا وكأنّه يستدرك على اللّه، ويُكملُ شيئًا يزعم أنّه ناقص، وحسْبُك بأمرٍ ينتهي إلى هذا الحدِّ قبحًا[3].

دلالةُ اسم التّفضيل ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾:

لفظُ (القصّ) في معناه الحقيقيّ هو تتبّع الشّيء، ومن ذلك قولهم: اقتصصتُ الأثرَ إذا تتبّعته[4]، والقَصُّ: تَتَبُّعُ الأثَرِ، وفي معناه المجازيّ القصّ هو الخبر ذو الأمور المتتالية[5].

القصصُ القرآنيُّ أحسنُ الاقتصاصِ وأحسنُ المقصوصِ

والعلاقةُ بين المعنيَيْن؛ الحقيقيّ والمجازيّ أنّ في كليْهما تتبّع الشّيء، فالقاصُّ: مَن يُتبع خبرًا بعد خبر، ويسُوق الكلام سَوقًا[6]؛ أيْ: مَن يأتي بالقصّة على وجهها، كأنّه يتتبّع أحداثها ومعانيَها وألفاظها.

وإذا حُمل القصص على المعنى الحقيقيِّ، وهو تتبّع الأثر وهو الأصل، فالمُرادُ بأحسن القصص: أحسنُ الاقتصاص؛ أيْ: أبدع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/203.
(2) النَّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/94، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/146، والخطيب، التّفسير القرآنيّ: 6/1233.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 393.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قص).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصص).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (قصص).

الأساليب وأعجب الطُّرق والمسالك في تتبُّع الأخبار والتَّعبير عنها؛ لكونه بالنَّظم الوجيز، والمَعْنَى الجزيل مع المراعاة لمُقتضى الحال في كلِّ كلامٍ ومقال.

وإذا حُمل القصص على المعنى المجازيّ، فالمُراد أحسن الأخبار؛ أيْ: أحسن المقصوص؛ لاشتماله على العجائب والحِكَم والآيات.

معنى (أل) في ﴿ٱلْقَصَصِ﴾:

أل التّعريفِ في القصص في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ جنسيّةٌ، تُفيد العموم؛ لتشملَ كلَّ القصص الّذي لم ينزل به القرآن؛ أيْ: قصصُ القرآنِ أحسنُ من كلِّ قصصٍ غيرِه في نظمه ومضمونِه.

كـلُّ قـصـصٍ لا يضاهي قصصَ الـقـرآن في العظمةِ والإعجازِ

الموقعُ الإعرابيّ لقوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾:

﴿أَحْسَنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يحتمل وجهيْن في الإعراب:

الحُسْنُ معجزٌ في القصص القرآنيّ؛ حُسْنُ بيانٍ وحُسْنُ مضمونٍ

الأوّل: أن يكون مفعولًا مطلقًا مبيِّنًا لنوعِ فعله؛ أيْ: منصوبَ نصْب المصدر[1]، والمعنى: نقصُّ عليك أحسنَ الاقتصاص، وعلى هذا التّقدير فالحُسْنُ يعود إلى حُسْنِ البيان، والمُرادُ من هذا الحُسن كون هذه الألفاظ فَصِيحَةً بالغةً في الفصاحة إلى حَدِّ الإعجاز، فرغم أنَّ القصّة مذكورةٌ في كتب التّاريخ إلّا أنّ شيئًا منها لا يُشابه هذه السّورة في الفصاحة والبلاغة.

وفي هذا التّقدير على المصدريّة مع بيان الواقعِ بأنّه أحسن نَظْمٍ وبيان تعريضٌ بما في اقتصاص أهلِ الكتاب من القُبح والخلل[2].

الثّاني: أن يكون بمعنى المفعول من إطلاقِ المصدرِ وإرادةِ المفعول، كالخَلْقِ بمعنى المخلوق، وكقولك: هذا قدرة اللّه تعالى؛ أيْ:

(1) لأنّه مضافٌ إلى المصدر، و(أفعل) إنّما يُضاف إلى ما هو بعض له، فينزل منزلة المصدر، فصار بمنزلة قولهم: سرتُ أشدّ السّير، ينظر: الزّحيليّ، التّفسير المنير: 12/199.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/251.

مقدورُه، والمعنى: نقصّ عليك أحسَنَ المقصوص، وعلى هذا التّقدير فالحُسْن يعود إلى ما فيه من العِبَر والنُّكَتِ والحِكَم والعجائب الّتي ليست في غيرها[1].

غرضُ الخبر ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾:

في قصّةِ يوسُفَ وإخوتِه آياتٌ لتسليةِ وتثبيتِ قلبِه الحزين ﷺ

أفادتِ الجملةُ الخبريّة في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ إعلامَ النّبيّ ﷺ بأنَّ ما يقصّه الله عليه من أخبار يوسف وإخوته هو أحسنُ القصص نظمًا ومضمونًا، وأنّه دليلُ نبوّته، والمُثبِّتُ لقلبه والمُخفّف لأحزانه وآلامه بما تتضمّنه أخبار هذه القصّة، وذلك في مرحلةٍ كانت شديدةً على النّبيّ ﷺ بعد فقدِ النّصير بوفاة عمّه أبي طالب وزوجِه خديجةَ رضي الله عنها[2]، وقد أوجد العلماء كثيرًا من أوْجُه الشّبه بين سيرة النّبيّ ﷺ وسيرة يوسف عليه السلام بلغتْ نحوًا من أربعة وعشرين وجهًا.

وقد ورد عن عطاء بن أبي رباح أنّه قال: "لا يسمع سورة يوسُفَ محزونٌ إلا استراح إليها"[3].

معنى الباء في قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾:

لا تنفكُّ قصصُ القرآن عن قرآنيّتها فهي سببُ أفضليّتها

الإلصاقُ؛ إشارةً إلى أنّ هذا نصٌّ في القرآن نزل به جبريل، وليس من باب الإلهام، أو الوحي غير المتلوّ، فهو قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة، والمعنى: نقصُّ عليك أحسنَ القصص الملتصق المتلبّس بوحينا.

وتفيد أيضًا معنى: السّببيّة، والباء متعلّقة بـ ﴿نَقُصُّ﴾؛ أي: بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن؛ أيْ: كانت هذه القصصُ عن طريق هذا الوحي؛ وفي هذا المعنى إشارةٌ إلى: نفي أن يكون المُرادُ أحسنَ قصص القرآن حتّى تكون قصّة يوسف عليه السلام أحسن من بقيّة

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/417.
(2) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 12/188.
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 4/212.

قصص القرآن[1]؛ لأنّ الأفضليّة بسبب كونها وحيًا، وكلُّ قصص القرآن وحيٌ.

ويتفرّع عن السّببيّة أنّ سبب أفضليّة الحسن في القصص الوارد في القرآن أنّه وارد من العليم الحكيم، فهو يوحي ما يعلم أنّه أحسن نفعًا للسّامعين في أبدع الألفاظ والتّراكيب، فيحصل منه غذاء العقل والرّوح، وابتهاج النّفس والذّوق ممّا لا تأتي بمثله عقول البشر[2].

ويمكن أن تكون الباء أيضًا تبعيضيّة، والمُراد من ذلك الإشارة إلى ما اشتمل عليه القرآن الكريم من قصص، وأنّه مع نزول القرآن الكريم على النّبيّ الكريم، نزل هذا القصص، الّذي كان بعضًا من وحي الله، ومعجزةً من إعجازه، ودرسًا من دروسه[3].

معنى (ما) في قوله: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ تحتمل وجهيْن:

(مـــا) بـين المـصـدريّـة والموصوليّة بيانٌ لأفضليّةِ قَصصِ القرآنِ

الأوّل: مصدريّةٌ، والمعنى: بإيحائنا إليك هذا القرآن[4]، والمصدر المؤوّل ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾ في محلّ جرٍّ بالباء متعلّق بـ ﴿نَقُصُّ﴾[5].

الثّاني: اسمٌ موصولٌ بمعنى الّذي[6]، وجملةُ ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ لا محلّ لها صلة الموصول الحرفيّ (ما)[7]. والمعنى: نحن نقصّ عليك أحسنَ القصص بسبب الّذي أوحيناه إليك من هذا القرآن.

سرُّ التّعبير بالإيحاء بالماضي:

نـــزولُ الـوحـي القرآنيّ الشّاهِدِ على صدْقِ نُبوّتِه ودعـوتِـه أمْـرٌ مُحقّقٌ لا شكَّ فيه

عبّر البيانُ القرآنيُّ عن إنزالِ الوحي بصيغة الماضي ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ وهذا يصْدُقُ على ما أوحاه الله على رسوله ﷺ فعلًا، ولكنّ المقصود

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 6/1234.
(4) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 6/430.
(5) دعاس، إعراب القرآن: 2/78.
(6) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/146.
(7) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 6/378.

كذلك ما يُوحيه سبحانه وقتَ نزول السّورة، وما سيُوحيه سبحانه بعد ذلك حتّى يكتمل نزول القرآن؛ لأنَّ كلَّ هذا الوحي القرآنيّ يدلُّ على صدق ما أخبر به ﷺ، وإذا كان المقصود بالقرآن هنا سورة يوسفَ فالتَّعبير بالمضارع هو الّذي يخطر على الذّهن؛ أيْ: بما نوحي إليك هذه السّورة، ولكنَّ البيان القرآنيّ آثر التَّعبير بصيغة الماضي عما سيُوحيه؛ لإفادة تحقّقِ الوقوع، وكأنّه وقعَ حتّى صَحَّ أن يُخبر عنه أنّه قد حصَل.

نكتةُ تقديم شبْه الجملة ﴿إِلَيْكَ﴾:

مَنْ اصطفاهُ الله وشرَّفه بالوحي القرآنيّ أحرى أنْ يُصَدَّقَ

قدّم القرآنُ الجارَّ والمجرور ﴿إِلَيْكَ﴾ على المفعول به ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ اهتمامًا بشأن المُقدَّم، وهو من اصطفاه الله، لأنَّه ﷺ تتنزّل عليه آيات القرآن، وقد عُرف عند العرب بالصّادق الأمين، ولم يُجرَّب عليه كذبٌ، وفيه كذلك التّشويق للمؤخّر، وهو القرآن الكريم.

كما أنّ في هذا التّقديم مناسبةً للسّياق الّذي يهتمّ برسول الله ﷺ، فقد قال في الآية ذاتها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾.

فائدةُ اسم الإشارة للقريب ﴿هَٰذَا﴾:

القرآنُ قريبٌ من النّبيّ ﷺ وأمّتِه، وذو شأنٍ عظيمٍ عندهم

عبّر البيان القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ باسم الإشارة للقريب، رغم أنّه عبّر في السِّياق ذاته في الآية الأولى باسم الإشارة للبعيد: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾؛ للإشارة إلى أمرين:

الأوّل: أنَّ هذا القرآن العظيم في شأنه ورفعة منزلته البعيد عن تشكيك المشكّكين هو قريبٌ من النّبيّ ﷺ، فقد نزل على قلبه، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشّعراء: 193 - 194]، وهو قريبٌ من المسلمين بين أيديهم؛ ترغيبًا لهم في العكوف عليه، والاتّعاظ بأوامره ونواهيه، ومناسبةً للتّسمية،

فالقرآنُ سُمي بذلك؛ لكونه مقروءًا، ولكي يُقرأ، يجب أنْ يكون قريبًا، ولذلك نجد أنّه يستعملُ مع كلمة القرآن اسمَ الإشارة هذا؛ الّذي يدلُّ على القُرب، في خمس عشرةَ آية في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

الثّاني: الإشارةُ للتّفنّن، إذ ورد في الآيات صريحًا ومُضمَرًا، والإيماءُ إلى تعظيم القرآن المشار إليه[1]، وزيادةُ التّمييز له اهتمامًا بشأنه[2].

نكتةُ التعبير في قوله: ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾:

عيّن البيانُ القرآنيُّ المُرادَ بالإشارةِ مُصرّحًا باسمه العَلَم ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ لأمورٍ:

قرآنيّةُ القصصِ الإلـهـيّ تـؤكّـدُ عِـصـمـتَـهـا وصدقيّتَها

الأوّل: الإشارة إلى أنّ إنزال القرآن هو مجمع الخيرات، والمعنى: نحن نُتابع في هذا القرآن القصص قصّةً بعد قصّةٍ، والحِكَم حِكمةً في إثْر حكمةٍ حتّى لا يشكّ شاكٌّ، ولا يمتريَ مُمترٍ في أنّه من عندنا وبإذننا[3]، وهذا ممّا يؤكّد عصمتها وواقعيتها، لا كما افترى المفترون بأنّها أساطيرُ وخرافات.

الثّاني: تعرُّضًا لعنوانِ قرآنيّة هذه القصص، تحقيقًا بأنّ الاقتصاص ليس بطريق الإلهام، أو الوحي غير المتلوّ[4].

الثّالث: الإشارةُ إلى أحسنيّةِ القصص القرآنيّ؛ لأنّه قد قُصّ على أبدعِ الطّرائق الرّائعة، وأعجب الأساليب الفائقة اللّائقة، كما لا يكاد يخفى على مَنْ طالع القصّة من كتب الأوّلين، وإن كان لا يميّز الغثّ من السّمين، ولا يُفرّق بين الشِّمال واليَمين[5].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/367.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/8.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/367.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/367.

معنى(أل) في ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ من الآية:

القرآنُ مشهورٌ بهذا الاسم معروفٌ بهذا النَّعْتِ

أل التّعريفِ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ عهديّةٌ، معهودُها ذهنيٌّ مشهورٌ بهذا الاسم وذِكْريٌّ سبق في الآيات، ومعلومٌ أنّ من علامات اللّام العهديّة أن تكون واقعةً بعد اسم الإشارة[1]، والمُراد هنا القرآن كلّه المشهورُ بهذا الاسم المعروفُ بهذا النّعت[2]، أو بعضه؛ أي: سورة يوسف؛ أيْ: بما أوحينا إليك هذه السّورة[3]، فالقرآن يُطلَق على الكلّ والبعض.

غرضُ تَكرار ذكرِ القرآن في الآيات السّابقة:

في كثرةِ ذِكْرِ القرآن بالتّصريح والإضمار تأكيدُ عظمتِه وصدقِ ما تضمّنهُ

تكرّر ذِكْر القرآن في الآيات السّابقة بالتّصريح والإضمار، واسم الإشارة ستّ مراتٍ، وجمع له طرق التّعريف كلّها، وهي اللّام والإضمار والعَلَميّة والإشارة والإضافة[4]، وذلك تفخيمًا وتعظيمًا لشأنه، وتأكيدًا بهذا التّكرار على صدق أخباره، وواقعيَّتها وأنّها لا كبقيّة الأخبار.

معنى الواو في قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾:

في حالِه وشأنِه ﷺ بعدم علمه بقصّةِ يوسُفَ تأكيدٌ لقرآنيّتها

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ حاليّةٌ، وجملة ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ في موضع الحال من كاف الخطاب في ﴿إِلَيۡكَ﴾[5]، والمعنى: بما أوحينا إليك هذا القرآن والحالُ أنّك كنتَ قبل إيحائنا إليك بهذا القرآنِ من الغافلين عن هذه القصّة لم تخطُر ببالك، ولم تقرَعْ سمعَك قطُّ[6]، وحالُه ﷺ وشأنه بعدم علمه لقصّة يوسف عليه السلام تأكيدٌ لقرآنيّتها، وأنّها وحيٌ متلوٌّ من عند الله سبحانه.

(1) السّيوطيّ، الإتقان: 2/186.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/251.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/251، وطنطاويّ، الوسيط: 7/317.

بلاغةُ اجتماعِ المؤكِّدات في الآية الكريمة:

مؤكِّداتٌ أكّدتْ نفيَ علم النّبيِّ ﷺ بأحسنِ القصص من قبل الوحي

﴿وَإِن﴾ في الآية مخفّفةٌ من الثّقيلة، وفق مذهب البصريّين، وضميرُ الشّأنِ الواقعُ اسمًا لها محذوفٌ، وجملة ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ خبر عن ضمير الشّأن المحذوف، وقد أُدخلت اللّام المزحلَقة في خبر كان؛ لأنّه جزء من الجملة الواقعة خبرًا عن ﴿وَإِن﴾، والمعنى: وإنَّ الشّأنَ كنتَ من الغافلين[1].

وفي التّعبير بـ ﴿وَإِن﴾ المُخفَّفة وما تضمّنه خبرها من اللّام المُزَحلَقة، وهذه الجملة الاسميّة و﴿كُنتَ﴾ الدّالّة على استمرار غفلته ﷺ عن القصص من قبْلِ القرآن المبين الّذي أُوحي به[2]، وفي ذلك كلّه أنواعٌ من التّوكيد تؤكّد نفيَ علم النّبيّ ﷺ بأحسن القصص من قبل الوحي؛ وذلك لأنّ المشركين كانوا مع معرفتهم به ﷺ عارفين بأنّه كان مباعدًا للعلم والعلماء، ومع ذلك كان فعلهم في تكذيب ما جاء به من هذه القصص المعجزة فعْلَ مَن يُنكرُ ذلك، ولذلك قال سبحانه مؤكّدًا بأنواع التّأكيد: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾، وهو ناظر إلى قوله آخر السّورة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: 102] بعد التفاته عن كثبٍ إلى آخر السّورة الّتي قبلها: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

وإذا اعتبرنا (إنْ) نافيةً بمعنى ما، واللّام بمعنى (إلّا) وفقَ مذهب الفرّاء كان في الجملة قَصْرٌ بالنّفي والاستثناء؛ أيْ: كانت الجملةُ مثبتَةً إثباتًا محصورًا[4]، وهذا كذلك فيه من التّأكيد ما فيه، إذ المعنى: ما كنتَ من قبل نزول السّورة إلّا من الغافلين عن قصّة يوسف وإخوته.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/251.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3797.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/9.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/299.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾:

تأكيدُ عدم علمه بقصّةِ يوسُف قَبْلَ نزولِ الوحي هو تأكيدُ صِدق نُبوّته

تحتمل ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ معنيين:

الأوّل: أن تكون لابتداء الغاية، وهذا عليه جمهور اللّغويّين، ورُدّ بأنَّ (منْ) لا تدخل على (قَبْل، وبَعْد)، وأُجيب عن ذلك بأنّهما غير متأصّلين في الظّرفيّة، وإنّما هما في الأصل صفتان للزّمان، قال البقاعيّ: يؤكّد كونها لابتداء الغاية: "ولمّا كان كونه لم يستغرق الزّمان الماضي، أثبتَ الجارّ فقال: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أيْ: هذا الكتاب أو إيحائنا إليك به"[1].

الثّاني: أن تكون للتّوكيد، بدليل جواز حذفها دون تغيّر المعنى، والمقصود توكيد كون النّبيّ ﷺ غيرَ عارفٍ بقصّة يوسف وإخوته قبل نزول السّورة.

نكتةُ تقديم شبه الجملة ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾:

في التّقديم اهتمامٌ بشأنِ موضوعِ المُقَدَّم وهو نزولُ القرآن

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ شبْهَ الجملة ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ على ما تتعلّق به وهو ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾، ولم يَقُل: (وإنْ كنتَ غافلًا من قبله)؛ اهتمامًا بشأن موضوع المُقدَّم وهو نزول القرآن الّذي كان الدّليل على صدق رسالته، إذ التّقدير: من قبل نزول القرآن.

عودُ الضّميرِ في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: في قوله:

نزولُ القرآنِ وقصصِه أمرٌ عظيمٌ في حياةِ النّبيّ وأمّته، وحجّةٌ على المعرضين عن هَدْيِهِ وملّتِهِ

الضّمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ إمّا عائدٌ على القرآن في قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾، والمُراد: وإنْ كنتَ من قبل نزول القرآن لَمن الغافلين؛ بدلالة قرينة السّياق[2]، وإمّا

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/9.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.

على المصدر المؤوَّل من ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾؛ أيْ: على الإيحاء، والمعنى: وإن كنتَ من قبل إيحائنا إليك هذا القرآن لَمِنَ الغافلين، وإمّا على الاسم الموصول في ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾، والمعنى: من قبل ما أوحينا إليك.

والنّتيجةُ واحدةٌ على كلٍّ هذه الآراء الثّلاثة، وتُشير إلى: أنّ نزول القرآن كان أمرًا عظيمًا مهمًّا في حياة النّبيّ ﷺ وأمّته، فبه ثبتتْ نُبوّته وصدقه، وبه ارتقتْ وترتقي أمّته.

وتشير إلى أنّ التّعريض بالمشركين المُعرِضين عن هَدْيِ القرآنِ بعد نزوله؛ ليُخرجهم من ظلمات الغفلة إلى نور العلم[1].

معنى اللّام في ﴿لَمِنَ﴾:

عـدمُ سـماعِـه ﷺ بـقـصّـةِ يوسفَ أمرٌ مؤكَّدٌ يـقـررُ صِـدْقَ ما جاء بِه منها

لامُ ﴿لَمِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ هي لامُ الفرق بين (إنْ) المخفّفة و(إنْ) النّافية، وقد أُدخلت اللّام في خبر كان؛ لأنّه جزء من الجملة الواقعة خبرًا عن (إنْ)، وغرضُ دخولها على خبر الجملة الاسميّة هو توكيد هذا الخبر، وهو هنا أنَّ النّبيّ ﷺ قبل نزول القرآن بقصّة يوسف عليه السلام لم يكن له شعور بهذه القصّة، ولا سبقَ له علمٌ فيها، ولا طرقَ سمعه طرفٌ منها، أيْ: تأكيد غيابِ هذا الأمر عن رسولِ الله ﷺ كلّيًّا.

معنى (من) في قوله: ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾:

دلالةُ (منْ) بيانٌ وتـوكـيـدٌ لـعدم علْم النّبيّ بقصّةِ يـوسُـفَ قـبْـلَ نزولِ القرآنِ

حرفُ الجرّ (منْ) في قوله تعالى: ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ تحتمل ثلاثة معانٍ: الأوّل: بيانيّةٌ؛ أيْ: (من) لبيان ما أُبهم قبلها؛ أيْ: بيانُ حال النّبيّ ﷺ مع هذه الأخبار قبل نزول القرآن، بأنّه كان غافلًا عنها، والثّاني: توكيديّة؛ لإمكانيّة حذفها دون أنْ يُؤثّر ذلك في التّركيبة البنائيّة؛ أيْ: وإن كنتَ من قبل نزول القرآن غافلًا عن هذه القصّة، وهي تُفيد توكيد عدم علمه ﷺ بهذه القصّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.

قبل نزول القرآن، والثّالث: أن تكون تبعيضيّةً على معنى: من زُمَرة الغافلين.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾:

أل التّعريف في قوله تعالى: ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ عهديّةٌ، معهودها ذهنيٌّ، والمقصود بالغافلين هم قومه ﷺ؛ لأنّهم كانوا أُمِّيّين لا يقرؤون ولا يكتبون، ولا عِلْمَ لهُم بقصّة يوسف وإخوته، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ [هود: 49]، والمعنى: وإن كنتَ من قبل نزول السّورة أو القرآن في زمرة الغافلين عنه من قومك الأُمِّيّين الّذين لا يخطر في بالهم التّحديث بأخبار الأنبياء وأقوامهم[1].

عـــدمُ العـلـم بأخبارِ الأنبياء وأقوامهم كان حـــالَ الـعـربِ الأُمِّيّين

سببُ التّعبيرِ بالجمعِ في لفظة ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾:

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالجمع في لفظةِ ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ دون أن يُوصف وحده بالغفلة؛ أيْ: لم يَقُل: (وإنْ كنتَ من قبله غافلًا)؛ للإشارة إلى تفضيله بالقرآن على كلِّ مَن لم ينتفع بالقرآن؛ فدخل في هذا الفضل أصحابه والمسلمون على تفاوت مراتبهم في العلم[2].

لـــنْ يُـوصَـف بالغفلة مَن آمن بالقرآنِ والتزمَ هُـداه؛ وأوَّلُـهـم رسولُ الله ﷺ

نُكتةُ التّعبير بـ ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن عدم العلم بالغفلة ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾، ولم يَقُل: (وإنْ كنتَ من قبله لَمن الجاهلين أو السّاهين أو النّاسين)؛ لأنّ الإنسان قد يجهلُ الأمر ويكون قد سمع به، أو قد يسمع بالأمر وينساه أو يسهو عنه، أو عن بعضه، أمّا أن يكون غافلًا عنه، فمعنى ذلك أنّه لم يخطر في باله مطلقًا؛ فالغفلة عن الأمر أشدّ تغييبًا له من الجهل به ونسيانه والسّهو عنه، وبذلك يكون التّعبير بالغفلة أبلغَ

عـــدمُ مـعـرفـةِ الـنّـبـيّ بدقائقِ قـصّـة يـوسـف وإخـــوتـــه من دلائـــل نـبـوّتـه؛ إذ لا تُـعـلـم إلّا بالوحي

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/112.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/204.

في إجلال شأن النَّبيِّ ﷺ[1]، وأدلَّ على إثبات نُبوّته بتلقّي القصّة وحيًا من الله سبحانه؛ لأنّ المقصود من هذا الوصف انتفاءُ العلم لعدم توجّه الذّهن إلى المعلوم[2]، وهو تفاصيل هذا القصص ودقائق أخباره وأحداثه، شأنه في ذلك شأنَ قومه الأُمّيّين؛ أيْ: كنتَ من غير العارفين بقصّة يوسف وإخوته؛ لم تكن قرأتَها في كتاب، وأنت لا تقرأ ولا تكتب، ولا جلستَ إلى معلّمٍ قصَّها عليك، ثم تأتي السّورة بقصّة يوسف على ما جاءتْ عليه من التّفصيل والدّقة؛ لتدلَّ على أنّ هذا الكلام ليس من النّبيّ، وإنّما هو وحيٌ من الله ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾.

وبالتّالي فعدمُ علمه ليس ذمًّا له، وإنّما هو عين المدح، إذ في ذلك دليلُ نُبوّته.

وفي التّعبير بالغفلة كذلك إشارةٌ إلى أنّ هذا من دقائق العِلم وعميقه الّذي يغفُل عنه العلماء، إلّا مَن آتاه الله تعالى وحيًا من علّام الغيوب؛ لأنّه عِلمٌ بالنّفوس وخواطرها، وما تختلج به الأفئدة، وذلك لا يكون إلّا من عليم، وفيه عِلمٌ كاملٌ بالاقتصاد من غير تعليم أحدٍ من البَشر، فعِلْمُ يوسف بالاقتصاد الصّالح مع النّزاهة النّبويّة عِلمٌ من الله[3].

مناسبة الفاصلة ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾:

جاءت الفاصلة ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ بتمام مناسبتها لِما قبلها من السّياق؛ لتُظهر المعنى بكلّ وضوح؛ ذلك أنّ الله ﷻ امتنَّ على نبيّه أنْ أعْلَمَه قصصَ

عدمُ علم رسول الله وغفلتُه عن أخبارِ الأنبياء دليلٌ وتعليلٌ لكونها وحيًا من الله

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/251.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/205.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3797.

الأمم والأنبياء السّابقين، وما حدث بينهم وبين أقوامهم، وأنَّ هذه القصص تُعدُّ أحسنَ القصص؛ ففيها تسليةٌ وتثبيتٌ للنّبيّ ﷺ، ومن المعلوم أنَّ النّبيّ قبل أنْ يُعلِمه الله أخبارَ هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم وقصصهم - عن طريق الوحي - كان غافلًا عن هذه القصص ولا يَعلمها؛ أيْ: لم تُخْطُر بباله، ولم تَقْرَع سمعه قطُّ، فبذلك ناسَبت فاصلةُ الآية ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ سياقَ الآية[1] الّتي جاءت تعليلًا؛ لكون القصص مُوحًى بها من الله[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغفلة والنّسيان والسّهو:

تتقارب معاني هذه الألفاظ، وقد تختلط بعضها ببعض، ولكن عند إمعان النّظر في معانيها اللُّغويّة واستعمالاتها القرآنيّة تُلاحَظُ بعض الفروق الدّقيقة بينها من عدّة جهات، وهي كالآتي:

الغفلة: أصل (غَفَل) يدلُّ على ترك الشّيء سهوًا، وربَّما كان عن عمدٍ، ومنه غفلتُ عن الشّيء: إذا تركتَه ساهيًا، وأغفلْتُه: إذا تركتَه على ذُكْرٍ منك له[3]، والغَفْلة: فَقْدُ الشُّعور بما حَقُّه أنْ يُشعَرَ به، وهو أيضًا الذّهولُ عن الشّيء، وقيل: متابَعةُ النَّفْسِ على ما تشتهيه، وغَفَلَ الشّيءَ: سَتَره[4]، والغفلة: سهوٌ يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقُّظ[5]، والغفلة: غيبةُ الشّيء عن بالِ الإنسان، وعدم تذكّره له، وقد استُعمل فيمَنْ تركه إهمالًا وإعراضًا[6].

والنّسيان: يدلُّ على إغفال الشّيء، والثّاني على ترك شيء[7]؛

الغفلةُ أعمُّ من النّسيان، فالغفلة تركُ الشّيء إهمالًا وإعراضًا، والسّهوُ نسيانٌ مع غفلة

(1) جودة، المناسبة في القرآن الكريم، ص: 31.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 13/311.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غفل).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (غفل).
(5) الرّاغب، المفردات: (غفل).
(6) الفيوميّ، المصباح المنير: (غفل).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نسي).

أيّ: مشتركٌ بين معنيين أحدهما: ترك الشّيء عن ذهولٍ وغفلةٍ، وهذا خلاف الذِّكر له، والثّاني: التّرك على تعمّدٍ[1]، فالنّسيان: تَرْكُ الإنسانِ ضبطَ ما استُودِعَ؛ إمّا لضَعْفِ قلبِهِ، وإمّا عن غفْلةٍ، وإمّا عن قصْدٍ حتّى يَنْحَذِفَ عن القلبِ ذِكْرُهُ، وكلّ نسيانٍ من الإنسان ذمّهُ اللّه تعالى هو ما كان أصله عن تعمّدٍ[2].

والسّهو: أصل السّهو يدلُّ على الغفلة والسّكون، فالسّهو: الغفلةُ، سَها عن الشّيء: غفَل عنه[3]، والسّهو: خطأ عن غفلة[4]، والسّهو والسّهوة: نسيانُ الشّيء والغفلة عنه (يذهب من خلال الذّهن ولا يضبطه الذّهن أو يُمسكه؛ فتخلو منه أثناؤه)، وإنَّ في السّهو إهمالًا وتراخيًا في ضبط المسهوّ عنه، وإمساكه في القلب، ولهذا فالسّاهي مسؤولٌ، وذمُّ السّاهين في الآيتين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١﴾ [الذّاريات: 11]، و﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: 5] يُحقّق هذه الملاحظة، فمعناه: لاهون غافلون، وسها في الشّيء: تركه عن غير عِلم، وسها عنه: تركه مع العِلم[5].

ومن أهمِّ الفروق بين هذه الألفاظ:

أولًا: الغفلةُ غير النّسيان؛ فالغفلة غَيْبَةُ الشّيء عن بال الإنسان وعدمُ تذكّره، فهو تركُ الشّيء إهمالًا من غير نسيان[6]، فالغفلة أنْ تهمل مسألةً كان يجب ألّا تُهمل، وألّا تغيب عن بالك، فهو فقدُ الشّعور بما حقّه أن يُشعر به، أو تركُ الشّيء فيما حقّه أن لا يُترك، أمّا النّسيانُ فبعضُه خارجٌ عن إرادتك[7].

ثانيًا: الغفلة أعمُّ من النّسيان: فالغفلة عبارةٌ عن عدم التّفطّن للشّيء، وعدم حضور الشّيء في البال بالفعل، سواء بقيتْ صورتهُ أو معناه في الخيال أو الذِّكر، أو انمحت عن أحدهما، أمّا النّسيان فهو عبارةٌ عن عزوب الشّيء عن النّفس بعد حضوره لها مع انمحاء صورة الشّيء أو معناه عن الخيال، أو الذِّكر بالكليّة، ولذلك يحتاج النّاسي إلى تجشّم كسبٍ جديدٍ وكُلفةٍ في تحصيله ثانيًا[8].

(1) الفيومي، المصباح المنير: (نسو).
(2) الرّاغب، المفردات: (نسي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سهو).
(4) الرّاغب، المفردات: (سهو).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سهو).
(6) الفيومي، المصباح المنير: (غفل).
(7) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 15/9476.
(8) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 388.

ثالثًا: الغفلة غير السّهو؛ فالغفلة تكون عمّا يكون، والسّهو يكون عمّا لا يكون، تقول: غفَلتُ عن هذا الشّيء حتّى كان، ولا تقول: سهوتُ عنه حتّى كان؛ لأنّك إذا سهوتَ عنه لم يكن، ويجوز أنْ تغفُل عنه ويكون، وفرقٌ آخر أنّ الغفلة تكون عن فعل الغير، تقول: كنتُ غافلًا عمّا كان من فلان، ولا يجوز أن يُسهى عن فعل الغير[1].

رابعًا: السّهو غير النّسيان: فالنّاسي إذا ذكرته تذكّر، والسّاهي بخلافه[2]، والسّهو غفلةٌ يسيرةٌ عمّا هو في القوّة الحافظة يتنبّه بأدنى تنبيه، والنّسيان زواله عنها بالكُليّة بحيث يحتاج إلى تحصيلٍ جديد، فالسّهو نسيانٌ مع غفلة[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 388.
(2) الفيومي، المصباح المنير: (سهو).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (سهو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»